فقه صنائع المعروف

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه ومن والاه وبعد؛؛

إن من أعظم القربات التي يتقرب به العبد لمولاه، هو صنع المعروف في أهله وفي غير أهله، وفي الحديث الشريف عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ، وَإِلَى مَنْ لَيْسَ هُوَ بِأَهْلِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، فَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ**»[1]

وفي الحديث كذلك " إِنَّ أهلَ المعروفِ فِي الدُّنْيَا هم أهل المعروف في الآخرة" [2]

أولا: مفهوم صنائع المعروف

المعروف في كلام العرب من الجذر الثلاثي **ع ر ف** ، والمعرفة مرادف الجلاء والوضوح والطمانينه ومن ذلك قوله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦﴾ [محمد: ٤-٦] **والمعروف ضد المنكر**، ويُطلق على كل ما تألفه النفوس وتعرفه لكونه خيراً، بعكس "المنكر" الذي تنكره الفطرة وتنفر منه، وهو مرداف **للإحسان والجود**: يُقال "أولاه معروفاً" أي أسدى إليه خيراً أو فضلاً، كما أن يدل على حسن المعاشرة والعدل والإنصاف والطاعة والبر.

وفي اصطلاح أهل الفقه: اسم جامع لكل قول أو فعل أو خلق حسن تعرفه الفطرة السليمة والعقول الراجحة وتقره الشريعة ويُستخدم هذا المصطلح في اللغة والشرع والفقه ليشمل أبواب الخير والإحسان والعدل. [3]

---

[1] بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، لأبي بكر مُحَمَّد بن أبي إسحاق الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق: مُحَمَّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، صـ٢٤٤. وهذا الحديث ضعفه جماعة من أهل العلم وقالوا لا يصح مرفوعا، وحسنه طائفة وقالوا هو من الكلام الحسن الذي يوافق صحيح الكتاب والسنة.

[2] الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ، صـ٨٧، رقم الحديث ٢٢٣، صحيح.

[3] انظر مختار الصحاح، لزين الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ مُحَمَّد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، صـ٢٠٦؛ القاموس الفقهي، صـ٢٤٩.

ويمكن تقسيم المعروف إلى ثلاث شعب:

↓

العقيدة:	المعاملات:	الأخلاق:
كل عمل يصل بك إلى الله	الأمانة، والعدل، والالتزام بما تعارف عليه المجتمع من حقوق	الكرم والوفاء وكل خلق قويم

الأمر الثاني: مفهوم الصنائع ولما اختار النبي صلى الله عليه وسلم هذا اللفظ:

الصَّنِيعة جمعها صنائع: هي العطاء أو الإحسان أو اليد البيضاء التي تقدمها لإنسان وتُحسن إليه بها.

ولا تسمى الصنيعة صنيعة حتى يُصاب بها طريق المصنع، ومعناه أن المعروف لا يكتمل أثره ولا يُسمى صنيعة حقيقية إلا إذا وُضع في أهله وموضعه الصحيح، والاصطناع: يعني الاختيار والتربية بعناية خاصة، كما يعني إعداد الطعام للتصدق به وفي التنزيل ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١] والصناعةُ تحتاجُ إلى إتقانٍ، ومهارةٍ، واستمرارٍ، وبحثٍ عن الفرص. فصاحبُ المعروفِ الحقيقيُّ هو الذي يتفننُ في إيصالِ الخيرِ للناسِ دونَ أن يجرحَ كرامتَهم، ويصنعُ الخيرَ بقلبِهِ قبلَ يدِهِ.[٤]

ومن كلام ابن عطاء الله «الشكر على ثلاثة أقسام: «شكر باللسان، وشكر بالأركان، وشكر بالجنان. فشكر اللسان: التحدث بالنعمة، قال تعالى: {(وَأَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)}. وشكر الأركان: العمل بطاعة الله قال تعالى: {(اِعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً)}. وشكر الجنان: الاعتراف بأن الله وحده هو المنعم قال تعالى: {وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ)}. ولما سأله السلطان لاجين: ما الذى يصير به الشاكر شاكرا؟ فقال: إذا كان ذا علم

[٤] تهذيب اللغة، لأبي منصور مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ٢/ ٢٥.

فبالتبيين والإرشاد، وإذا كان ذا غنى فبالبذل والإيثار للعباد، وإذا كان ذا جاه فبإظهار العدل فيهم ودفع الأذى والأنكاد.[٥]

ثانيا: صور صنائع المعروف

يقعد الحبيب المصطفى ﷺ قاعدة عظيمة في صناعة المعروف وبذله حيث يقول ﷺ عَنْ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ؛ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ..[٦]

وتتجلى صور صنائع المعروف فيما يلي:

١- قضاء الحوائج يقول النبي الأكرم ﷺ الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..[٧] وفي ذلك الحديث يشير سيدنا رسول الله ﷺ إلى أن أحب الأعمال تفريج الكربات، والستر، وقضاء الحوائج بل إن قضاء حاجة المسلم أفضل من الاعتكاف في مسجد سيدنا رسول الله ﷺ شهرا، وهناك صورا متعددة لقضاء الحاجة لا تقتصر على المال منها؛

---

[٥] انظر الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، شرح ابن عباد النفزي الرندي، إعداد ودراسة: محمد عبد المقصود هيكل، إشراف ومراجعة: عبد الصبور شاهين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ص ١٨. ولطائف المنن.

[٦] الروض الداني (المعجم الصغير)، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي ودار عمار، بيروت – عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ٢/ ١٠٦، حديث رقم (٨٦١).

[٧] صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، مراجعة ومصححة على النسخة السلطانية مع رفع الالتباس عن رموزها، دار التأصيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، ٣/ ٣٨٠، حديث رقم (٢٤٥٥).

العون المادي	**الصدقة– القرض الحسن– إنظار المعسر– تفريج الكرب– سداد الدين**
الشفاعة الحسنة	مصداقا لقوله سبحانه ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥] ومن صور الشفاعة الحسنة التوسط لأصحاب الكفاءات وكذا رفع الظلم عن المظلومين وتسهيل المعاملات المشروعة والتوسط بين الأحباب وتقريب وجهات النظر بين المختلفين
العلم والنصح	من خلال إرشاد الحائر، وتعليم الجاهل، وتقديم المشورة الصادقة التي تعين الشخص على اتخاذ القرار الصحيح فصدقة العلم نشره وبذله لأهله
الجهد البدني	من خلال مساعدة كبار السن، أو مرافقة مريض، أو قضاء مشوار لشخص عاجز عن الحرك، أو إغاثة الملهوف وإزالة النكبات
الدعاء بظهر الغيب	من أصدق صور الدعم المعنوي والروحي

٢- جبر الخاطر : من صور صنائع المعروف التي يملكها الغني والفقير، والكبير والصغير، جبر الخاطر يقول الحبيب المصطفى ﷺ كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ [٨] فالصدقة لا تقف عند حد المال وحسب، بل كل ما يملك الإنسان أن يؤدي به نفعا لغيره، كما في الحديث أن يصلح بين المتخاصمين، أن يعين الرجل على دابته، أو مركبته، والكلمة الطيبة صدقة، وفي الحديث «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ

[٨] صحيح البخاري، جـ٣، صـ١٠٩٠، رقم الحديث ٢٨٢٧.

لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ.. [٩]

ومن صور جبر الخاطر:

- إقالة العثرات، بقدر المستطاع بالمال إن استطعت، أو الشفاعة الحسنة كما سبق وأشرنا أو بالتوسط لدى الأطراف المعنية، كأن تكون العثرة عند دائن وتقدر على أن تؤجل الدين، وأنت تعلم أن المدين معسر، وغيرها من الأمور.

يقول أبو الحسن الشاذلي– رحمه الله– " ما من عبدٍ يمشي في حاجة أخيه المسلم، إلا أظلّ الله قلبه بنور التوفيق، وجعل قضاء حاجته سبباً في قضاء حوائجه عند الله".

- حسن الاستماع والاهتمام: فالإنصات لشخص يمر بضائقة دون مقاطعته أو التقليل من حجم مشكلته يُشعره بالتقدير والأمان، وقد أمرنا الشعر الحنيف أن يشعر بعضنا بالبعض، وأن يخفف عنه ولو بالإنصات إليه، فالواجب الإنصات إليه إذا حدث، وعدم مقاطعته، وعدم الاستهانة برأيه.
- **التغافل عن الزلات**: التجاوز عن الأخطاء غير المقصودة وعدم إحراج المخطئ أمام الآخرين يحفظ كرامته ويجبر خاطره.

وكان النبي ﷺ جابرا للخواطر في كل أحواله، حياته كلها صناعة للمعروف وأذكر منها موقفين فقط وإن كانت المواقف النبوية لا يحصرها عد.

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ ابْنًا لِأُمِّ سُلَيْمٍ صَغِيرًا كَانَ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، وَكَانَ لَهُ نُغَيْرٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا، ضَاحَكَهُ، فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: " مَا بَالُ أَبِي عُمَيْرٍ؟ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاتَ نُغَيْرُهُ، قَالَ: فَجَعَلَ

[٩] سنن الترمذي، لأبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، مجموعة من المحققين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، جـ٤، صـ٣٣٩، رقم الحديث ١٩٥٦. (صحيح)

يَقُولُ: " يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟"[١٠] وكان النبي ﷺ دوما يمازحه جبرا لخاطره، وتخفيفا عنه لعلمه بما ألم به من ألم لفقد طيره الذي يحبه!

الموقف الثاني عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُقَالُ لَهُ زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ كَانَ يُهْدِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ فَيُجَهِّزُهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ"، قَالَ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَالرَّجُلُ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟ " فَقَالَ زَاهِرٌ: تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللهِ كَاسِدًا! فَقَالَ: "لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ"، أَوْ قَالَ ﷺ: "بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ"[١١]

هذا الهدي النبوي الكريم في جبر الخواطر لم يتوقف عند عصر الصحابة، بل تشرّبه العلماء العاملون والأولياء الصالحون عبر العصور، فجعلوه منهج حياة وسلوكًا يوميًا؛ ومن أروع النماذج التي جسّدت هذا الخلق في تاريخنا: سيرة العالم الزاهد الشيخ عبد الله المنوفي (رحمه الله).

ومن مواقفه رحمه الله ورضي عنه:

- **جبر خاطر أخته دون جرح كرامتها** .كان الشيخ لا يكتسي من غزل زوجته، بل يكتسي من غزل أخته ويعطيها أجرة على ذلك. فعل ذلك لعلمه بضيق حالها، فأراد إعانتها على معيشتها في صورة عمل وأجرة حتى لا يشعرها بمرارة الصدقة أو الحاجة .
- **الوقوف مع الضعفاء والمظلومين.**

[١٠] مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، ٢٠/ ٣٦٢، رقم الحديث ١٣٠٧٧

[١١] صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، لأبي حاتم مُحَمَّد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: مُحَمَّد علي سونمز وخالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، ٦/ ٥١٨، حديث رقم (٥٧٣٥).

جلس الشيخ عند باب أحد كبار الأمراء من أجل امرأة فقيرة معها أطفالها وقد حُبس زوجها. وتحمّل أذى الحاشية وسبّهم ولم يبرح مكانه حتى سعى في قضاء حاجتها وفك أسر زوجها .

- **الزواج بنية الوفاء وجبر الخاطر** .تزوج امرأة مسنّة نوبية لم يكن يرغب فيها الرجال؛ وعندما سُئل عن السبب قال: "لأنها خدمت والدتي فأحببت أن أكافئها". وفي زواج آخر، تزوج أرملة لها ولدان كبيران رغم تحذير الناس له من عدم الراحة معهما، فقال: "أنا تزوجتها لأجل الولدين[١٢]

- **تقدير الطلاب وإشعار كل فرد بمكانته** .كان طلق الوجه، يؤانس أصحابه وطلابه، ويخاطب كل واحد منهم بما يليق به، حتى يظن كل فرد في المجلس أنه هو الشخص المقدم والمقرب عند الشيخ .

ثالثا: الآثار والنتائج

إن لصنائع المعروف وقضاء الحوائج وجبر الخواطر ثمارًا عاجلة يجنيها العبد في حياته الدنيا، وثمارًا آجلة مدّخرة له في الآخرة، وقد تجسدت هذه الآثار واقعًا ملموسًا في سير الصالحين

أولا في الدنيا:

١- **الوقاية من مصارع السوء**. روى أصحاب الحديث بسند ضعيف لكن له شواهد تقويه من الكتاب والسنة، وسير الحبيب ﷺ وأصحابه، أنه ﷺ قال: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ.. [١٣] فكل عمل خيّر وإحسان تقدمه للناس وتبتغي به وجه الله، مثل: إغاثة الملهوف، أو جبر الخواطر أو قضاء الحوائج يدفع عنك الميتات السيئة والوقوع في البلايا والحوادث المهلكة بإذن الله.

[١٢] انظر بحثنا من سير الصالحين؛ الشيخ عبد الله المنوفي (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) من خلال كتابات تلميذه الخليل وكتاب مناقب المنوفي: دراسة حضارية»، مجلة أهل الصفة لدراسات التصوف وعلوم التراث، مج٣، ع١، ذو الحجة ١٤٤٧هـ / يونيو ٢٠٢٦م.

[١٣] المعجم الكبير للطبراني، جـ٨، صـ٢٦١، رقم الحديث ٨٠١٤.

وتُعدُّ قصة أصحاب الغار الثلاثة من أروع القصص النبوية التي تُجسِّد أثر الإخلاص، وصنائع المعروف في كشف الكربات والنجاة من الهلاك؛ حيث أوى ثلاثة رجال من الصالحين إلى غارٍ في الجبل، فانحدرت صخرة عظيمة سدت عليهم الباب وأيقنوا بالموت، ولما انقطعت بهم الأسباب الأرضية، لجأوا إلى الله متوسلين بأخلص أعمالهم الصالحة؛ فتوسل الأول ببره العظيم بوالديه وإيثارهما على أهله وولده، وتوسل الثاني بعفته عن ابنة عمه وتركه الفاحشة خوفاً من الله بعد أن تمكن منها، وتوسل الثالث بأمانته وحفظه لأجر أجيرٍ غاب عنه وتنميته له حتى صار ثروة عظيمة ردها إليه كاملة. فما كان من الله إلا أن فرّج عنهم كربتهم شيئاً فشيئاً مع دعاء كل واحد منهم، حتى انفرجت الصخرة تماماً وخرجوا يمشون سالمين، ليكونوا عبرةً خالدةً بأن العمل الصالح الخالص هو الذخر الحقيقي للإنسان في أشد لحظات الضيق .

ومن الأمثلة اللطيفة التي ساقاها بعض الدعاة:

أن أحد القادة الكبار الذي لا يجرؤ أحد أن يدخل عليه دون سكرتارية، وإذن مسبق، يدخل عليه جندي بلا استئذان ولا سكرتير، ولا يستطيع أحد أن يرده عن باب القائد، كل ذلك لأن هذا الجندي وجد ابن القائد يسبح في البحر وكاد أن يهلك، فألقى بنفسه في البحر وأنقذه، ومن حينها لا يرد عن باب القائد وصار من المقربين!

ولله المثل الأعلى لو كسوت عريانا، أو أطعمت جائعا، أو جبرت خاطرا، فقد قدمت لنفسك عند الله، فالمساكين أحباب الله، ومن يتلطف بهم فكأنما تلطف بأخص الناس إليه سبحانه، ومن لا يرحم لا يرحم!

٢- **عناية الله والبركة في الرزق عند الإنفاق** .من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، فيبارك له في القليل ويسخّر له أسباب العطاء من حيث لا يحتسب فمن أراد أن يبارك له في الرزق والعمر والمال والولد فليبادر في صنع المعروف **ولدينا شاهد من سيرة الشيخ عبد الله المنوفي (ت ٧٤٩هـ)** لم يكن للشيخ المنوفي راتب معلوم في آخر عمره، ومع ذلك كان يُطعم في كل ليلة ما

بين خمسين إلى سبعين فقيرًا في أوقات الغلاء الشديد، وكان يخرج من كوّة بجانبه في المدرسة من النفقة والكسوة للفقراء ما تعجز عنه الملوك، ببركة إخلاصه وسعيه الدائم في حوائج المحتاجين!

٣- **تأييد الله ونصرة الأمة بصلاح المصلحين** .عندما يتجرد العالم أو الصالح لخدمة دينه وأمته وقضاء حوائج العباد، يبارك الله في مسعاه ويجعله سببًا للنصر والتمكين ولدينا **شاهد من سيرة سلطان العلماء العز بن عبد السلام** :خرج الشيخ العز بنفسه مع الجيش رغم تجاوزه السبعين من عمره في معركة المنصورة، ثم قاد التعبئة الروحية والمالية في معركة عين جالوت ضامنًا للمسلمين النصر على الله، فحفظ الله به بيضة الإسلام وأعاد الخلافة إلى مصر .

٤- **نيل محبة الخلق وبقاء الذكر الطيب** .يجمع الله قلوب العامة والخاصة على محبة صانع المعروف، ويجعل له لسان صدق في الأرض ومن الشواهد ما نلمسه في جنازة أكابر العلماء أمثال العز والمنوفي والسبكي وغيرهم حيث خرجت القاهرة عن بكرة أبيها في مشهد مهيب لتشييع جنازة العز بن عبد السلام يتقدمهم السلطان، وكذلك ازدحم أهل مصر والقاهرة على الشيخ المنوفي لتقبيل يديه والتبرك به جزاء تواضعه ولطفه وجبره لخواطر الفقراء والطلاب.

ثانيًا: آثار صنائع المعروف في الآخرة

لا ينقطع أثر المعروف بالموت، بل يجد العبد ثمرة إحسانه مضاعفةً أمامه في القبر ويوم القيامة، ومن أعظم تلك النتائج:

١- **تفريج كربات يوم القيامة** .الجزاء من جنس العمل؛ فمن فرّج عن مسلم كربة في الدنيا فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة الشديدة، كما ثبت في الحديث الصحيح.

٢- **النجاة من عذاب القبر ببركة خدمة الفقراء والمحتاجين** .تكون خدمة المحتاجين وإطعامهم نورًا ونجاةً لصاحبها في قبره عند انقطاع العمل.

شاهد من سيرة الشيخ عبد الله المنوفي :يُروى في مناقبه أن أخته كانت من النساء الصالحات الخادمات للفقراء وطلبة العلم، فرأت في منامها أنها ماتت وأُدخلت قبرها فرأت ما يسوؤها، فجاءت القِدرة وتُفال العجين الذي كانت تعده للفقراء فسدّا عنها

ذلك ودفعاه؛ فبشّرها الشيخ قائلًا: «التزمي القيام بالطبخ للفقراء والعجن لهم فإن ذلك قد رأيته سببًا لنجاتك.

الستر الإلهي يوم العرض والحساب.

٣- من ستر عيب أخيه أو قضى حاجته في خفاء حفاظًا على كرامته كما كان يفعل الشيخ المنوفي في إعانته لأخته وتصدقه في الأسحار والأزقة سرًا ستره الله يوم القيامة وتجاوز عن زلاته .

٤- **ثبات القدم على الصراط** .جعل النبي ﷺ السعي في تثبيت حوائج الناس ورفع الظلم عنهم سببًا مباشرًا في ثبات القدم يوم تزل الأقدام على الصراط وفي الحديث ومن مشي مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام

٥- **الفوز بالمنزلة الرفيعة ودوام الصحبة في الجنة** .يظل المحسنون في الدنيا متميزين بفضلهم ومكانتهم في الدار الآخرة، مصداقًا للحديث النبوي: «وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ»، ويلتقون بمن أحبوهم ونفعوهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

جمع وترتيب الفقير لعفو مولاه د محمد سالم الصعيدي الأزهري الشافعي